الجمهوريـــــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـة
وزارة التعـليم العـالي والبحـث العلمـي
جامعة-أحمد زبانة- غليـزان
كلية الآداب واللغـــات
قسـم اللغة العربيـة وآدابهـا

جامعة غليزان
RELIZANE UNIVERSITY

مختصر :

محاضرات ي البلاغة الجديدة

تخصص ماستر لسانيات الخطاب

أد.ناعوس بن يحي

البلاغة الجديدة أو نظرية الحجاج عند بيرلمان و تتيكا :

تمهيد : قبل الولوج إلى عمق النظرية عندهما يجدر بنا منهجيا أن ننظر إلى تعريف الحجاج عندهما:

الحجاج عند بيرلمان (Perlman) و تيتكا (Tyteca) :

لقد عرّف بيرلمان و تيتكا الحجاج بتعريفات عدّة في مواضع مختلفة في الدّرس البلاغي المعاصر من خلال كتابه " البلاغة الجديدة " 1958 و هو عنوان فرعي لكتاب " مصنف في الحجاج " و هو « المعجم الحقيقي المجمل لكلّ أشكال الحجّج و تأثيرها» .[1] و كتاب آخر مع تيتكا " دراسة الحجاج " الذّي درسا فيه تقنيّات الخطاب وقد كان بيرلمان معنيّا « بقضيّة العقل العمليّ أيّ تحديد دور العقل في الممارسة » [2].أيّ اعطاء للعقل الأولويّة في تحليل المواضيع . فالاتّجاه القويّ نحو « بلاغة الإقناع الذّي جسّده " مصنّف في الحجاج " هو إجابة عن مأزق المنطق الصّوري وعجزه في الفكر المعاصر عن التعامل مع القضايا التّي تنفلت من الاختزال الشّكلي و الحساب »[3]. أيّ أنّه دافع من خلال مصنّفه عن بلاغة الاقناع و الإجابة على الكثير من التّساؤلات .

و يحدّد بيرلمان و تيتكا موضوع نظرية الحجـاج في «دراسة التّقنيّات الخطابيّة التّي تمكّن من إثارة و تعزيز انخراط الأذهان في الأطروحات المقدّمة » [4]. حيث يقصد أنّ التفاعل و الإنسجام الذّهني و العقلي في الأطروحات

---

[1] عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة ،ص83

[2] المرجع نفسه ، ص84

[3] المرجع نفسه ، نفس الصفحة

[4] المرجع نفسه ، ص85

المعروضة هو محور الحجاج. و منه يتضّح لنا أنّ الحجاج عندهما لا يقتصر على الاقناع و التّأثير في الغير بل يتعدى الى الحث على العمل و الاستعداد له. كما أنّ بيرلمان و تيتكا يقولان : « ليس الحجاج في النّهاية سوى دراسة لطبيعة العقول ثمّ اختيار أحسن السّبل لمحاورتها ،و الاصغاء إليها و محاولة لحيازة انسجامها ... فإذا لم توضع هذه الأمور النفسيّة و الاجتماعيّة في الحسبان فإنّ الحجاج يكون بلا غاية و بلا تأثير» [5]. أيّ أنّ الحجاج لا يكون إلا بالتعامل مع العقل و مراعاة الجوانب النفسيّة و الاجتماعيّة.

كما يرى بيرلمان أنّ للقيّم دورا فعّالا "في بناء الثّقة بين المتحاورين ، لذا اعتبرها قواعد حجاجية تستند عليها لكي تحمل المخاطب على القيام بأفعال معينّة بدل أخرى ...فبالقيّم نستطيع تشكيل الحقيقة المطلوبة على الوجه الذّي يريده المبدع »[6].بمعنى أنّ القيّم في نظر بيرلمان أساسيّة في الحجاج للإدلاء بالحقيقة .

البلاغة الجديدة عند بيرلمان و تتيكا:

لقد اختلفت زوايا النظر في دراسة الحجاج ، فمنهم من انطلق من زاوية بلاغية وأخرى فلسفية و أخرى التداولية وغيرها . حيث تبين للدارسين المعاصرين إلزامية الرجوع الى قراءة البلاغة القديمة أو الكلاسيكية و تطويرها بصفة عامة و الكشف عن خصوصياتها ، فلكل واحد طريقته و منهجيته الخاصة به، وعليه سنتناول في البداية نظرية الحجاج أو البلاغة الجديدة عند أحد روادها البارزين شايم بيرلمان و زميله تتيكا.

لقد شكلت مؤلفات بيرلمان و تتيكا خطوة كبيرة في الدرس البلاغي الجديد ، علما أن الدرس البلاغي القديم الذي أرسى معالمه و أركانه " أرسطو" ضمن كتابة " الخطابة " لا يختلف عن مصنفهما في الحجاج "الخطابة الجديدة " سنة 1958. حيث حاول بعثها و بناءها من جديد في ثوب جديد و هي « النظرية الحجاجية التي تكون مطابقة للبلاغة»[7].بمعنى أنّ النظرية الحجاجية و بكل المكونات الأسلوبية الموجودة في خطاب ما ، هي عبارة عن مستويات معنية من مستويات الحجاج. حيث نجد أن بيرلمان يركز اهتمامه على الحجاج « قضاياه ، أطره ، روافده ، أنواعه ، تجلياته ، بحسب مقامات التوظيف و سياقاته »[8]. أي أن الحجاج يهتم بالقضايا و الأطروحات المختلفة و الروافد و التجليات على قدر المقام و السياق.

---

[5] عبد اللطيف عادل ، المرجع السابق ، ص 76

[6] محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص112

[7] محمد سالم محمد الأمين طلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص105

[8] المرجع نفسه ، ص104.

كما يحدد بيرلمان و تتيكا موضوع نظرية الحجاج في « دراسة التقنيات الخطابية ، التي تمكن من اثارة و تعزيز انخراط الأذهان في الأطروحات المقدمة »[9] و عليه فإن أساس الحجاج هو الانسجام الذهني مع المواقف المقدمة و المطروحة لدراسة التقنيات الخطابية. و انطلاقا مما سبق تعد نظرية الحجاج التي طورها بيرلمان من أهم النظريات المعاصرة للبلاغة فهي « تهتم بأساليب اجراء اللغة و تنويعات الخطاب ، و مقاماته و طبائع الناس المعنيين بكل تلفظ معين»[10] . أي أن الاهتمام المتنوع للعملية الحجاجية ، يكون بطرق متنوعة ، تختلف باختلاف الناس و اختلاف وعيهم وتفكيرهم.

اضافة الى ذلك يرى بيرلمان« أن تحقيق الإقتناع الذي هو غاية يقع في منطقة وسطى بين الإستدلال و الإقناع »[11] ، بمعنى أن الاقتناع يتوسط الاستدلال الذي يتعلق بالمنطق ، ويتوسط الاقناع ، و عليه « فالحجاج مجاله الخطابة أو هو أقرب الى الخطابة، في حين أنّ الاستدلال مجاله المنطق »[12] . بمعنى أنّ نتائج الاستدلال منطقية تستخلص من المقدمات ، بينما الحجاج نتائجه مرتبطة بالمقام .كما يمكن لنا أن نقول : « أن المؤلفين يجعلان الإقتناع و هو عقلي دائما ، أساس الاذعان و أساس الحجاج ، و أن الإقناع بما هو ذاتي و خاص و ضيق لا يعتد به الحجاج »[13] و هذا يدل على أنّ الإقتناع و الإقناع نوعان من الحجاج ،كما عدّ أنواعا عدة من الحجاج.

و زيادة على ما ذكر يرى المؤلفان « أنه ما من محاجة الاّ و الباعث عليها وجود شك في مدى صحة فكرة ما»[14] أي أنّ كل فكرة يجب التدقيق و التشديد عليها لتصبح واضحة لفرضها على المتلقي .و اعتبر بيرلمان أن الحجاج على « أنه صناعة الجدل من ناحية و صناعة الخطابة من ناحية أخرى »[15] . و هنا يقصد ما هو حجاج جدل ،وما هو حجاج خطابة .

---

[9] عبد اللطيف عادل ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص85.

[10] محمد سالم محمد الامين الطلبة ،مفهوم الحجاج عند بيرلمان ، ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته ، حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، ج2 ، 2010 ،اربد الأردن ، ص180

[11] عبد الله صولة ، نظرية في الحجاج دراسات و تطبيقات ، مسكيلياني للنشر ، ط1 ، تونس ، 2011 ، ص14.

[12] المرجع نفسه ، ص 14

[13] المرجع نفسه ، ص15

[14] المرجع نفسه ، ص16

[15] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، عالم الكتب الحديث للنشر ، ط1 ،الاردن 2008 ، ص22

و على هذا فإن « غاية الحجاج الأساسية ، إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه الى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل »[16] .

و قد قدم بيرلمان و زميلته « الغاية من تقريبنا بين الحجاج و الخطاية أن نلح على أنه لا حجاج بدون وجود جمهور يرمي الخطاب الى جعله يقتنع و يسلم و يصادق على ما يعرض عليه »[17]. و هنا يثبت على أن المتلقي أو المستمع تبنى عليه العملية الحجاجية الإقناعية ، فبتغير المستمع يتغير شكل الحجاج ، و يقول كذلك « أنّ غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها ، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب ، و هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة »[18]. أي أن بيرلمان يبين أنّ الحجاج الأمثل يكون في قوة الحجة و اخضاع السامعين بشكل عام ، أو على الأقل جعلهم على الاستعداد للعمل.

ومن هنا يتسنى لنا قبل أن نتطرق الى ملامح الحجاج عند بيرلمان أن نشير الى ملامح البلاغة من وجهة نظر الكلاسيكية وهي سبعة : «تتمثل

1- الإقناع أي إيداء الاتفاق.

2- الإعجاب ، الإغراء ، أو التلاعب و التبرير .

3- تمرير الرأي أو ما هو رأي محتمل بحجج متينة .

4- اقتراح الضمني من خلال الصريح .

5- تأسيس المعنى المجازي على المعنى الظاهري .

6- استعمال اللغة المجازية و الأسلوبية و الأدبية .

7- اكتشاف نوايا المتكلم ، أو الكاتب و منحها حجمها اللائق بها . »[19]

---

[16] المرجع نفسه ، ص21

[17] عبد اللطيف عادل ، بلاغة الاقناع في المناظرة ،ص 86

[18] محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص108.

[19] محمد سالم محمد الامين الطلبة ، مفهوم الحجاج عند بيرلمان ، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته ، حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، ج2 ، ص 181

كل هذه الملامح جعلت الدارسين يطورونها بما يلائم الخطابات و النصوص ،حيث أصبحت تتمثل في خمسة « ملامح رئيسية لبيرلمان :

1- أن يتوجه الى مستمع .

2- أن يعبر عنه بلغة طبيعية .

3- أن تكون مسلماته لا تعدو كونها احتمالية .

4- ألا يفتقر تقدمه الى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة .

5- أن تكون نتائجه غير ملزمة (احتمالية غير حتمية). »[20]

إنّ هذه الملامح تبرز بعض المميزات للخطاب الحجاجي ، حيث أن الحجاج استراتيجية لغوية تكتسب بعدها من سياق الخطاب و التخاطب.

و في نهاية المطاف يقولان : « فليس الحجاج في النهاية سوى دراسته لطبيعة العقول ، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها و الإصغاء اليها و محاولة لحيازة انسجامها الإيجابي و التحامها مع الطرح المقدم ، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية و الاجتماعية في الحسبان ، فإنّ الحجاج بلا غاية و بلا تأثير » [21] . و يقصد أن التفاعل مع الخطابات تحكمه الأمور النفسية و الاجتماعية حتى يكون الحجاج له تأثير و هدف.

و أخيرا نستنتج أن البلاغة الجديدة عند بيرلمان هي ضرب من الإحياء مع التطوير و التجديد في جميع الميادين التي تتعلق بكل أنواع الخطاب.

تقنيات الخطاب الحجاجي عند بيرلمان وتيتكا:

كا بينا منذ قبل على أن شايم بيرلمان يعدّ رائدا النّظرية الحجاجيّة ، و أوّل من استخدم مصطلح البلاغة الجديدة ، حيث ألمّ بقضايا الحجاج و تطرّق إلى أهمّ التّقنيات الحجاجيّة و الآليات الإقناعية القائمة على طرائق الوصل(procédés de liaisons) ، و القائمة على طرائق الفصل (procédés de dissociation).

[20] محمد سالم محمد الامين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 108

[21] عبد اللطيف عادل ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص87.

أ/ طرائـــق الوصـــــــل :(procédés de liaisons)

لقد عرف بيرلمان و تيتكا الحجاج بتعريفات عدة في مواضع مختلفة أهمها هو أنّ نظرية الحجاج يتلخص في « دراسة تقنيات الخطاب التّي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التّسليم بم يعرض عليها من أطروحات ، وأن تزيد في درجة ذلك التسليم »[22]يعني أنّ هذه التّقنيات ترمي إلى التأثير في المتلقي واقناعه من خلال القضايا والأطروحات .

يقصد بيرلمان بطرق الوصل « ما يتم به فهم الخطط الّتي تقرّب بين العناصر المتباعدة في الأصل ، لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها ، وكذلك تقويم كلّ منها بواسطة الأخرى سلبا أو ايجابا »[23]. بمعنى أنّها تقوم على الآليات التي تقرّب بين العناصر المتابينة في البنيّة الحجاجية من أجل توحيدها وتماسكها وترابطها.

و قدحصر الباحثان هذه « الأشكال في ثلاثة أنواع من الحجج ، هي الحجج شبه المنطقية التي تستمد طاقتها الإقناعية في مشابهتها للطرائق الشّكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة ، و الحجج المؤسسة هي بنية الواقع من قبيل الربط السّببي و حجة السّلطة ، و الحجج المؤسّسة لبنية الواقع شأن المثل و الشاهد والتّمثيل و الاستعارة »[24].أيّ أنّ طرائق الوصل مقسّمة على عدّة حجج منها : الحجج شبه منطقية و الحجج المؤسّسة على بنية الواقع و الحجج المؤسّسة لبنية الواقع وتتمثّل فيما يلي :

1/ الحجج شبه المنطقيّة :(les arguments quasi-logiques)

تستمد الحجج شبه المنطقية « قوتها الاقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية (Formelle) و المنطقيّة و الرياضيّة في البرهنة ، لكن هي تشبهها فحسب و ليست هي إيّاها ، إذ في هذه الحجج ما يثير الاعتراض»[25]. أيّ أنّها تعتمد على المنطق الرياضي و البرهاني بالتقريب دون أن تساويه وهذا ما يتعارض مع مفهومها . كما تعتمد الحجج شبه المنطقيّة على بعض « البنى المنطقية مثل التّناقض (Contradiction) و التّماثل التّام أو الجزئي (Identité totale ou patielle) ، و قانون التّعديّة (la transitivité.)

---

[22] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم ، ص 27

[23] عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب ، ص 477

[24] عبد الله صولة ، المرجع السابق ، ص 32 .

[25] عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ، ص 42.

كما تعتمد على العلاقات الرّياضيّة مثل علاقة الجزء بالكل و الأصغر بالأكبر و علاقة التوتّر و غيرها »[26] . بمعنى أنّ الحجج شبه منطقية تستمدّ قوتّها الإقناعيّة من خلال بعض المبادىء المنطقيّة و يمكن تفصيلها كالأتي :

أ/ الحجج التي تعتمد البنى المنطقية :

قسّم بيرلمان هذه الحجج الى مجموعة من الاقسام :

- التناقض و عدم الاتفاق :(Incopatibilitém)

و يقصد بالتّناقض(Contradiction)« هو أنّ تكون هناك قضيتان في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى و نقض لها »[27] . بمعنى أنّ هناك قضية تنفي قضيّة أخرى ، فلا يمكن جمعهما . أمّا التعارض هو« اجتماع حكمين متناقضين في فريضة أو خطاب كما يمثل في اختيار فرضيتين لإقصاء غير اللائقة منهما بالمقام »[28] .أيّ أنّ التّعارض مرتبط بالمقام ، لاختيار إحدى الحكم و إقصاء الأخر .

- التّماثل التّام أو الجزئي : (L'identité dans l'argumentation)

تقتصر هذه الحجة على «التّعريف الّذي يكون فيه المعرّف و المعرّف متماثلين لفظا ، الأمر الّذي يجعلنا نعتبر اللّفظ الثّاني محمولا على المجاز»[29] بمعنى أنّنا نعرف مفهومه بتعريف مماثل ومتطابق لفظا . و هذا الضرب من التعريف «شائع في خطابنا اليومي كأن يقول أحدنا الدّنيا هي الدّنيا ، مقدّما بذلك تعريف يفتقر الى الصّرامة المنطقيّة و إلى وضوح طرفيه ، فالدّنيا قد تفهم على أنّها الحياة بملذّاتها و مشاكلها، كما قد تحيل على الخداع و الاغراء و الفتنة ، و مع ذلك فإنّ التّماثل الظاهر يصعب دفعه »[30]و هذا يعني أنّ التّماثل يستخدم في خطاباتنا اليومية ، و لكن مضمون طرفيه مختلف .

---

[26] المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

[27] المرجع نفسه ، ص 43

[28] محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص128

[29] محمد سالم محمد الأمين الطلبة ،الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 128

[30] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي ، ص 200

- الحجة القائمة على العلاقة التبادلية : (Règle de réciprocité)

تقتضي الحجة القائمة على العلاقة التبادلية « مبدأ التماثل قاعدة في التعامل مع المتماثلين ، تتمثل في العدالة أيّ في التّعامل مع العناصر المنتمية إلى صنف واحد بكيفية واحدة ، ولذا نتحدث عن المبادلة أو التبادل وهي علاقة منطقية خالصة .»[31]وهنا يقصد التعامل مع قضيتين متماثلتين من نفس الصنف بالعدل.كما تتمثل « في محاولة المواءمة بين الحجج العكسيّة »[32] أيّ أنّ هناك تبادل عكسي على وضعيتين متماثلتين.

- حجج التّعديـة :(Arguments de transitivité)

عرّفاها على أنّها تقوم على «استنتاج علاقات انطلاقا من توظيف قيمة عنصر ثالث ، يتم المرور عبره لتأكيد صدق العلاقة بين العنصرين الأول والثاني ، ويضرب لذلك " عدوّ عدوّي صديقي " ، وهو أنّ " صديق عدويّ عدويّ " »[33] . وهي وجود علاقة تعديّة بين طرفين أو أكثر . و الواقع أنّ« التعديّة خاصيّة تعود إليها أصناف كثيرة من الحجج نجدها فعلا بطريقة خفيّة وبأثواب مختلفة : تعديّة بواسطة علاقة تساو أو تفوّق أو تضمين أو اشتمال ... »[34].أيّ أنّ تعديّة الحجج مختلفة و متنوعة و بطرق شتّى .

- الحجج شبه منطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية :

يقوم فيها الحجاج على « إدماج جزء في كلّ على اعتبار أنّ الأوّل مندمج في الثّاني و يكون هذا الاندماج والارتباط مأخوذين من جهة نظر كميّة .»[35]. بمعنى أنّه يشكّل علاقة رياضيّة ، يكون فيها كلّ يشتمل جزء و يتضمّنه من النّاحية الكميّة.

و أيضا « تقسيم كلّ إلى أجزائه المكوّنة له كي يتسنّى للمحاجج توظيف تلك الأجزاء و تحميلها الشحنة الاقناعيّة التي كانت لها مجتمعة ، وعلى المتكلّم عند استخدامه هذا النّوع الحرص على أنّ يكون تعداده للأجزاء

---

[31] المرجع نفسه ، 201

[32] محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، المرجع السابق ، ص 129

[33] المرجع نفسه ، ص 129

[34] سامية الدريدي ، المرجع السابق ، ص 204

[35] محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص129.

شاملا .»[36] و هو اعتبار أنّ كلّ أشمل من جزء حتى يتضمن للخطيب اقناع المتكلّم مع ضرورة شموليّة الأجزاء.

حرص بيرلمان على تأسيس الحجج على بنيّة الواقع كونها تستخدم في الرّبط بين الأحكام وجعلها حجاجا قائما على الاتصال وعرفها بما يلي :

ب/ الحجج المؤسسة على بنية الواقع :(les arguments basés sur la structure du réel)

تتمثل الحجج المؤسّسة على بنية الواقع في كونها حجج « لا تعتمد على المنطق وانّما تتأسس على التّجربة وعلاقات حاضرة بين الأشياء المكوّنة للعالم ، فالحجاج ما عاد افتراضا و تضمينا بل أصبح تفسيرا و توضيحا ، تفسيرا للأحداث و الوقائع وتوضيحا للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع و أشيائه .»[37] أيّ أنّها تستمد قوتها الحجاجية من الواقع و العلاقات الاتّصالية و التّي تتمثّل فيم يلي :

- الاتصال التتابعي و الحجة البراغماتية:

يكون الاتّصال التتابعي « بين ظاهرة ما و بين نتائجها أو مسبباتها و الاتصال التواجدي الذي يكون بين شخص وبين أعماله و عموما بيت الجوهر و تجلياته . »[38] أي أنّ الاتصال التتابعي يكون بالربط بين السبب و النتائج و التواجدي هو الربط بين الشخص و جوهره .

ومن وجوه الاتصال التتابعي نجد : حجج التبذير ، و حجج الاتجاه ، و الوصل السببي و الحجاج .

- الوصل السببي و الحجاج :

له ثلاثة ضروب وهي :

« الضّرب الأوّل : هو حجاج يرمي إلى الربط بين حديثين متتابعين بواسطة رابط سببي

الضّرب الثّاني : هو حجاج يرمي إلى أن يستخلص من حدث ما وقع سبب أحداثه و أدّى إليه .

---

[36] المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

[37] سامية الدريدي ،الحجاج في الشعر العربي ، ص214.

[38] عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ، ص49.

الضّرب الثّالث: هو حجاج يرمي إلى التكهّن بما سينجرّ عن حدث ما من نتائج .»[39].

هنا يقصد أنّ الحجاج ينطلق من النّتائج ليصل إلى الأسباب و الأحداث و يعتمد على التكهّن لو توفر السّبب.

- حجة التبذير :

تقوم حجة التبذير « على الاتّصال و التتابع ، وإن لم تكن ليعتمد فيها أساسا على النّتيجة »[40] . هي متعلقة بضرورة التّتابع معتمدة على الأسباب .

- حجة الاتّجاه :

تقوم حجة الاتجاه أساسا على فكرة « التّحذير من مغبّة اتباع سياسة المراحل التّنازلية »[41]يعني أنّ هي التّحذير من سلسلة التّنازلات التي تؤدّي إلى الاستسلام .

ومن وجوه الاتصال التواجدي نجد: الشخص و أعماله ،حجة السلطة ، الاتّصال الرمزي .

- الشّخص و أعماله :

و تتمثّل في كون أنّ « الشّخص هو مجمل المعلوم من أعماله أيّ بتعبير أدّق هو العلاقة بين ما ينبغي أن نعتبره جوهر الشّخص ، و بين أعماله التّي هي تجليّات ذلك الجوهر »[42]. أيّ أنّ أعمال الشّخص و أفعاله تساهم في الكشف عن جوهره و أفكاره .

- حجة السّلطة :

تكتسب حجّة السّلطة « من سلطة قائلة ومن مكانته وقيمته »[43]. و تتمثّل في الحجج المتنوعّة التي تستمد قوتها من هيبة الشّخص و سلطته . وتختلف و تتعدد تعددا كبيرا فقد تكون « بالإجماع أو الرأي العام ، أو

---

[39] عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج، ص50.

[40] المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

[41] المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

[42] المرجع نفسه ، ص51

[43] محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص131

العلماء أو الفلاسفة أو الأنبياء ، وقد تكون هذه السّلطة غير شخصية مثل الفيزياء أو العقيدة أو الدّين أو الكتاب المقدس »[44] . بمعنى أنّ السّلطات التّي يتمّ الاعتماد عليها في الحجاج قد تكون شخصيّة أو غير شخصيّة .

- الاتّصال الرّمزي :

يتمثّل الاتّصال الرّمزي في « العلاقات التّي هي شكل آخر من أشكال الواقع ، تؤسّس بدورها على الانتماء ، ولكنّه انتماء اجتماعي أو ثقافي لذلك تتغير الرموز بتغير الأوساط الاجتماعية و البيئات الثّقافية »[45]. بمعنى أنّ للرمز دلالات مربوطة بنوعيّة الاستخدام حسب الفئة و البيئة سواءً كانت اجتماعية أو ثقافية أو غيرها .

ج/ الحجج المؤسّسة لبنية الواقع :

تقوم الحجج المؤسّسة لبنية الواقع على مستويين أساسيين هما : تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة كالمثل ، و ما يقوم على استخدام التّمثيل .

- تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة :

يكون تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصّة و هي « المثل التي تقتضي وجود بعض الخلافات في شأن القاعدة الخاصّة ، التي جيء بالمثل لدعمها و تكريسها »[46] و يقصد أنّ المحاجة تدعم بالمثل لتقوية قضيّة ما تكون محلّ خلاف ، فيؤتى بهذه المثل للتثبيت و الترسيخ . و كذلك من هذه الحالات الخاصة البيّنة أو التبيين أو الاستشهاد الذّي « يقوي درجة التصديق بقاعدة ما معلومة و ذلك بتقديم حالات خاصّة توضح القول ذا الطّابع العام ، و تقوّي حضور هذا القول في الذّهن ، و على هذا فإنّ الاستشهاد يؤتى به للتوضيح »[47]. بمعنى أنّ الاستشهاد يوضح و يقوّي درجة التّصديق لدى المتلقي و يكثف حضور الأفكار في الذّهن .

و نجد أيضا النّموذج و عكس النّموذج و هو« ضرب خاص من المثال ، يعرفه " اوليفي روبول" بكونه المثال الذي يظهر بمظهر يستوجب تقليده »[48].بمعنى أنّه نوع من المثال الذي يظهر بمظهر الاقتداء و النّسج على منواله

---

[44] عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ، ص53.

[45] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي ، ص236.

[46] عبد الله صولة ، المرجع السابق ، ص54.

[47] عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ، ص55.

[48] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي ، ص245.

. و منه يتضّح لنا أنّ « أنسب المجالات لتوظيف النموذج ، مجال للتوجيه و القيادة ، توجيه المتلقي إلى سلوك معيّن و قيادته نحو موقف محدّد »[49] . أيّ أنّ وظيفة النموذج تكمن في مجال اختيار توجيه المتلقي حسب الموقف أو المقام المعيّن .

كما تقوم على استخدام التّمثيل« استخداما حجاجيا لأنّه في الحقيقة ليس قائما على علاقة تشابه ، و انّما هو تشابه علاقة »[50]. يقصد أنّ التمثيل يعتمد على تشابه العلاقات بين العناصر و ليس علاقة مشابهة بينهما .

وقد بيّن بيرلمان على أنّ « التمثيل في الحجاج يختلف عنه في الابداع ، ففي حين لا شيء ، يمنع من أن يطول التّمثيل و يمتدّ في مجال الابداع ، فالتمثيل في مجال الحجاج يلتزم بحدّ معيّن و إلا فقد طاقته الاقناعية و أنّ إطالة التّمثيل تكون أحيانا لغاية أن تثبت صحته ، لكن تلك الإطالة قد تجعله عرضة لتجريح المخاطب »[51] .بمعنى أنّ الطّاقة و القوّة الاقناعية تكمن في التزام التّمثيل بمجال معين و إلاّ أصبح عرضة للإهانة و التجريح .

ومنه نستنتج أنّ تعدّد الحجج و تنوعها في طرائق الاتّصال ، من حجج شبه منطقية مؤسّسة على المنطق و الرياضيّات و قدرتها على الاقناع ، و حجج مؤسّسة على بنية الواقع و ضروبها و حجج مؤسّسة لبنية الواقع و استخدام الحالات الخاصّة بكلّ أجزائها ،كلّها تحمل المتلقي على الاذعان أو زيادة اذعانه في أيّ خطاب .

ب/ الطرائق الانفصالية في الحجاج :(procédés de dissociation)

بناءً على ما تقدّم من الطّرائق الاتّصالية التي تعمل على الوصل بين العناصر ، اعتمد بيرلمان كذلك تقنيّة أخرى و هي الطّرائق الانفصاليّة التي تقوم على الفصل بين عناصر الموضوع الواحد .

يقصد بيرلمان بالطّرائق الانفصالية في الحجاج « تلك التّي تقتضي وجود وحدة بينها و مفهوم واحد لها فهي عناصر راجعة إلى اسم واحد يعينها و إنما وقع الفصل بينها لأسباب دعا إليها الحجاج .»[52] بمعنى أنّه يحدث الفصل بين عناصر المفهوم الواحد ، وذلك بكسر وحدتها لأسباب حجاجية .

كما يرى أنّ « الحجاج القائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامن بعضها مع بعض ، مردّه إلى زوج الظاهر /الواقع أو الحقيقة (Apparence réalité) ، الظّاهر هو الحدّ الأوّل و الواقع هو الحدّ

---

[49] المرجع نفسه ، نفس الصفحة

[50] محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص132.

[51] المرجع نفسه ، نفس الصفحة

[52] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم ، ص32.

الثّاني »[53].بمعنى أنّ الفصل يكون بكسر وحدة المفهوم إلى أساسين هما الظّاهر و الواقع . إضافة إلى ذلك يرى بيرلمان« أنّ الحد الأوّل الذّي يوافق الظّاهر ، وهو ما يخطر بالذّهن ، و يدركه الفكر ، في حين أنّ الحدّ الثّاني لما كان نميزه لا يكون إلا في علاقته بالحدّ الأوّل و مقارنة به ، فإنّه لا يمكن أن يكون إلا نتيجة فصل تحدثه داخل الحدّ الأوّل نفسه سعيا منّا إلى القضاء على ما يمكن أن نلمحه في مظاهر الحدّ الأوّل ، هذا من تناقضات بينها توقظ فكرنا من غفلته عنها و انخداعه بها »[54]. بمعنى أنّنا نفصل الحدّ الأوّل /الظّاهر لأنّه يحمل المظاهرة الخادعة البعيدة عن الواقع ، وإبقاء الحدّ الثّاني الذّي يحمل الواقع و الحقيقة .

هذه الثنائية الظّاهر / الواقع أو الحقيقة قد ورد ما يعادلها في « الفلسفة الأفلاطونية على سبيل المثال بأزواج من قبيل : ظاهري / حقيقي ، رأي /علم ، معرفة حسية / معرفة عقلية ، جسم / روح ، تحول / اثبات ، كثرة/ وحدة ، إنساني / إلاهي»[55].

تتجلّى طرائق الفصل في الأقوال و الخطابات و ذلك عن طريق « الفصل بالجمل الاعتراضية ، أو بالأفعال الغير اليقينية ، يزعم ، يتوهم ، يظن ، يشك ... و الهدف منه إسقاط أحد العنصرين المفصولين ثم التأكيد على الباقي منهما »[56]. أيّ أنّ هذه المفاهيم و العبارات تستمدّ مظهرها الحجاجي بإسقاط أحد الحدّين و إبقاء المؤكّد و الحقيقي.

و يتمثّل دور الفصل الحجاجي « بواسطة الطّرائق اللّغوية و الكتابية ما ذكرنا منه ومالم نذكر في حمل السّامع أو القارئ على تمثل مظهرين اثنين للشيء الواحد أو المعطى الواحد مظهر زائف ظاهريّ براق من حيث أنّه أوّل ما تصادفه الحواس و يراه الفكر و المظهر هو الحقيقة عينها »[57]. بمعنى أنّ السّامع أو القارئ لابدّ له أن يهمل كلّ ما هو زائف و أن يتقبلّ كل ما يمثّل الحقيقة .

و قد اعتبر بيرلمان أنّ « أنجع الكلام في الحجاج ما جاء على قدر المقام »[58]. بمعنى أنّ المقام هو الذي يحدّد مصداقية الخطاب الحجاجي .

---

[53] عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ، ص61.

[54] نفس المرجع ، ص62

[55] نفس المرجع ، نفس الصفحة.

[56] محمد سالم محمد الامين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص133.

[57] عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ، ص64.

[58] محمد سالم محمد الامين الطلبة ، المرجع السابق ، ص133.

و عليه نستنتج أنّ طرائق الوصل تقنية تقوم على الفصل بين حدّي الزوج الظاهر / الحقيقي في المفهوم الواحد ، و هي من أهمّ ما اعتمد عليه بيرلمان في دراسة تقنيات الخطاب .

البلاغة و الحجاج

نحاول هنا طرح قضية التداخل بين الحجاج و البلاغة عن طريق طرح السؤال التالي : هل العلاقة التي تربط بينهما هي علاقة تداخل أم علاقة تكامل أم علاقة احتواء؟ تلك هي الأسئلة التي سيَبني عليها البحث طريقه محاولا إيجاد الإجابة العلمية وفق ما تمليه المنهجية العلمية الجادة مستندا على ما طرح على بساط البحث العلمي في المدرستين العربية والغربية .

ماهية الحجاج : كثيرا ما نجد من البحوث التي عرفت الحجاج من الناحية اللغوية إلا إن هدفنا ههنا هو الربط بين التعريف اللغوي و التعريف الاصطلاحي للحجاج حتى يتسنى الخروج بمعنى جامع بين الوظيفة التي يقوم بها الحجاج داخل الخطاب ،و الأصل اللغوي لمعناه الإصطلاحي، فنقول:"حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي :غلبته بالحجج التي أدليتها[...] وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة و الحجة :الدليل والبرهان"[59].

و الذي يهمنا من ذلك المعنى الأخير ، أي منازعة الحجة و هذا الذي نجده في القرآن الكريم حيث قال الله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[60] .

ومعنى حاج في هذا السياق: "خاصم،وهو فعل جاء على زنة المفاعلة،ولا يعرف ل(حاج) في الاستعمال فعل مجّرد دال على وقوع الخصام،ولا تعرف المادة التي اشتق منها"[61]، فنلاحظ التلازم بين المعنى اللغوي و الاصطلاحي بحيث أن "الحجاج هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[62].

و على هذا الأساس يُعرف الحجاج بأنه "فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية إنشاءًا موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي، لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة"[63] .

هذه الثنائية التي تميز الحجاج جعلته أكثر حضورا في العملية التواصلية مما ساعد المرسِل على إيصال أفكاره إلى المتلقي، و تجعله يذعن إلى ما طرح عليه من رسائل ، و أفكار ،و ذلك لأن الحجاج " عملية استدلال عقلي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم ، وتعتبر

---

[59] –. ابن منظور، لسان العرب،دار صادر،بيروت،لبنان:ط 28– 1997 م،مج 2،مادة حجج،ص 27 ،

[60] –سورة البقرة الآية 258.

[61] –ابن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير،الدار التونسية للنشر والتوزيع والإعلان،دت،ج 3،ص 32/31.

[62] –طه عبد الرحمن ،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،ط 1،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب، 1998 ،ص 226.

[63] – د.طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، البيضاء ، المغرب، [ط.3] ، 2007م ، ص.65.

أن موضوعه درس تقنيات الخطاب التي تمكن المتكلم من تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"[64].

وزيادة على ما سبق ،فإن الخطاب الحجاجي يُعرف ،أيضا ،بأنه خطاب يستنفر كل الطاقات الإقناعية لدى المرسِل من أجل الدفاع عن وجهة نظر ليجعل المتلقي يذعن لها ، ومن هنا كان لزاما أن يُبنى الخطاب الحجاجي على جملة من العناصر يلخصها الجدول التالي:

العنصر الحجاجي	وظيفته
القضية	عرض الفكرة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة
الأطراف	المتحاورون حول القضية / المرسل و المتلقي (فردا واحد أو جمهور ..)
الحجج	عرض أدلة نقلية أو شواهد داعمة أو أمثلة من التاريخ أو الواقع أو شواهد من القرآن الكريم.
كيفية الإقناع	الاهتمام بالأساليب والصياغة مع التدرج في عرض البراهين.(سلالم الحجاج، الروابط و العوامل.)
النتيجة	الخلاصة إبداء الرأي بطريقة منطقية (النتيجة قد تكون ضمنية أو صريحة)

وزيادة على ما سبق ،فإن لغة الخطاب الحجاجي ،بما تتسم به من خصائص منطقية ، تتعالق مع ما يدعى بالمنطق الطبيعي (Logique naturelle) الذي ليس سوى "نسق من العمليات الذهنية التي تمكن فاعلا / متكلما في سياق ما من اقتراح تمثيلاته على متكلِّمٍ له بواسطة الخطاب "[65].

---

[64] – شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة ،ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود،كلية الآداب ، منونة،د.ت، ص 59.

[65] – من المنطق إلى الحجاج ، حوار أجراه مع د.أبو بكر العزاوي حافيظ اسماعيلي علوي ، فكر ونقد، [ع.61] ن السنة السابعة ، سبتمبر 2004م ، ص.37.

من أجل ذلك و غيره ،جعل كثير من الباحثين يُدْخلون الحجاج في اللغة ، و من هنا حُصر مفهوم الحجاج في التداولية المدمجة في التلازم بين الحجة و النتيجة ،فقد عرفه ديكرو في كتابه "الحجاج في اللغة" على النحو التالي: «يقوم متكلم ما بفعل الحجاج عندما يقدم قولا (ق1) (أو مجموعة أقوال) يفضي إلى التسليم بقول أخر (ق2) أو (مجموعة اقوال أخرى)"[66].

و على هذا ،فإن الحجاج عند ديكرو و أنسكومبر :" هو إنجاز لعملين هما: عمل التصريح بالحجة من ناحية و عمل الاستنتاج من ناحية أخرى سواء أكانت النتيجة مصرحا بها أم ضمنية "[67].

و مما سبق نستنتج ، و انطلاقا من تعريفه في التداولية المدمجة،بأن الحجاج ما هو إلا"علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب ،تَنْتج عن عمل المحاجة ، ولكن هذا العمل محكوم بقيود لغوية فلابد أن تتوفر في الحجة (ق1) شروط محددة حتى تؤدي إلى (ق2)،لذلك فإن الحجاج مسجل في بنية اللغة ذاتها ،و ليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال و لا بمعطيات بلاغية مقامية"[68].

و على هذا ؛حصرت التداولية المدمجة دراسة الجوانب التداولية في اللغة وحصرت أيضا الحجاج ،كما بيَّنا،داخل بنية اللغة ،و ذلك لما تتصف به اللغة من وظائف حجاجية تيسر توصيل الرسالة إلى المتلقي، لهذا يعتبر الحجاج ،كما أسلفنا ، "فعالية تداولية جدلية ؛ فهو تداولي لان طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة "[69].

و انطلاقا من ذلك ، وجدنا ديكرو و أنسكومبر يميزان بين نوعين من الأفعال فعل المحاجة ،و فعل الاستدلال ، و ذلك لأن" الاستدلال و الحجاج ظاهرتان من مستويين مختلفين فأساس الاستدلال هو علاقة اعتقادات

---

[66] - Jean-Claude Ascombre et Oswald Ducrot, L'argumentation dans la langue, Pierre mardaga, éditeur, Bruxelles, 1983, p8

[67] -Jean-Claude Ascombre et Oswald Ducrot, L'argumentation dans la langue, Pierre mardaga, éditeur, Bruxelles, 1983, p11

[68] –شكري المبخوت، الحجاج في اللغة ،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب و الفنون و العلوم الإنسانية 1،كلية الآداب منوبة،ص360-361.

[69] – د.طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، البيضاء ، المغرب، [ط.3] ، 2007م ، ص.65.

المتكلم بحالة الأشياء ،أي ترابط الأحداث و الوقائع في الكون ،أما الحجاج فهو موجود في الخطاب، و في الخطاب فحسب"[70].

فإذا كان فعل المحاجة مرتبط بالخطاب يجعله يختلف عن فعل الاستدلال ،و ذلك لأنَّ "عمل المحاجة باعتباره علاقة بين الحجة و نتيجة مختلف عن عمل الاستدلال ،فالمحاجة علاقة بين عملين لغويين لا بين قضيتين و هذه الخاصية التي تجعله مرتبطا باللغة الطبيعية "[71].

و في المخطط التالي تلخيص لما سبق ذكره عن تعريف الحجاج و إدماجه في اللغة:

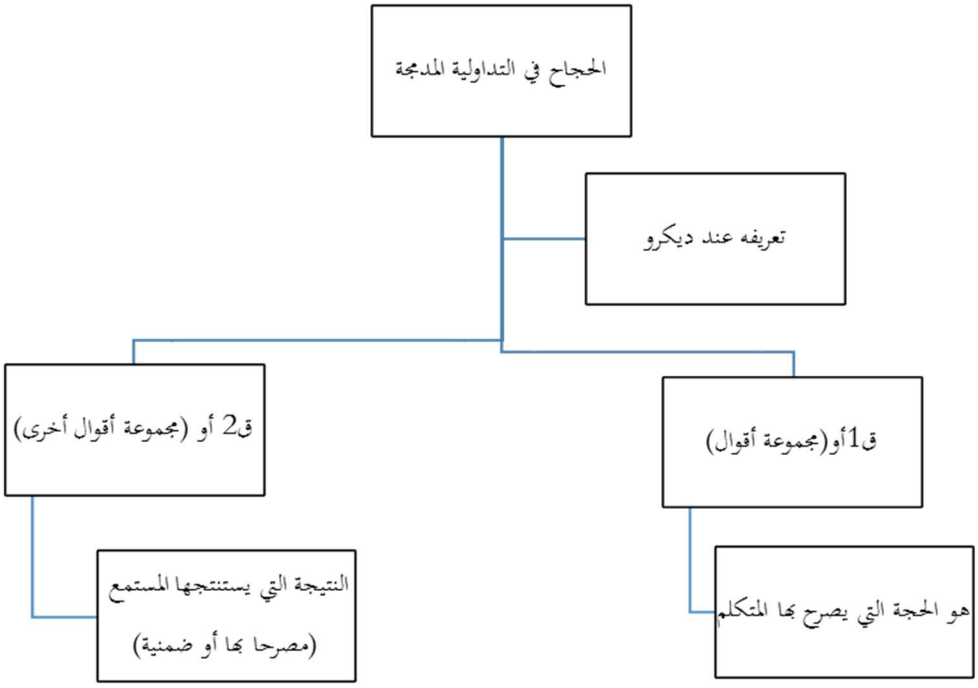

مقدمات الحجاج و منطلقاته: إن التغيرات التي تشهدها حياتنا اليوم من توفر وسائل التواصل المختلفة حتى استطاع الإنسان أن يخاطب غيره ،البعيد عنه، خلال ثواني رغم أن الآخر موجود في أمريكا و الأول في إفريقيا ،مثلا ،بل يستطيع أن يرى صورته و يلاحظ حركاته و انطبعات وجهه فكأن "الحياة اليومية والعائلية والسياسية توفر لنا كماً هائلا من أمثلة الحجاج البلاغي. إن أهمية هذه الأمثلة المنتمية إلى الحياة اليومية تكمن في التقارب الذي تسمح به مع الأمثلة التي يوفرها الحجاج الأكثر سموا عند الفلاسفة والقانونيين"[72] .

---

[70] -شكري المبخوت ،الحجاج في اللغة ،ص362.

[71] - شكري المبخوت ،الحجاج في اللغة ،ص363.

[72] -http://balagharachid.blogspot.com/2014/04/blog-post_4540.html

وهذا ما جعل المختصون في الحجاج و البلاغة على رأسهم بيرلمان الذي وسع من حدود الخطابة، حيث دمج الفلسفة والعلوم الإنسانية عامة، والتحاور اليومي، في نموذجه الموحد الذي أطلق عليه: البلاغة الجديدة "والواقع أن بيرلمان بهذا قد وقف على آليات مشتركة بين كل أشكال الكلام سواء النفسي الشخصي، أو الثنائي، أو الجماهيري، أو الشعري، أو خطاب المختصين في مجال القانون والعلوم الإنسانية "[73]. فلم تعد البلاغة ، بذلك، محصورة عنده في مخاطبة العوام والدهماء، بل اكتسحت جميع أنواع المخاطبين المختصين، الذين لا يمكنهم فهم الخطاب وتكوين رأي عن مضامينه: "دون التمهيد لذلك بتحمل عناء البحث الجاد"[74].

و مما سبق أضحت الخطط الحجاجية تستمد خصائصها وسماتها "من الحقل الذي تتحقق فيه و يمنحها الشرعية ،و قد يكون هذا الحقل هو الحياة اليومية للناس ،و قيمهم أوالفكر و التفكير من أبسط درجاته إلى أكثرها تعقيدا و تجريدا .و يترتب على ما سبق أن الحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية ،و إنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق ، والسبب في ذلك أن كل خطاب حال في اللغة تمنحه هذه الأخيرة العناصر الأولية و القاعدية لكل حجاج ،أي عناصر الاستدلال و التدليل...حتى إن العديد من حقول المعرفة الإنسانية يسعى كل منها إلى ضم الحجاج إلى حظيرته الخاصة والاستفادة من إمكاناته .و هذا ما جعل مفهوم الحجاج يُطعم بمفاهيم ووظائف و تنظيرات مختلفة مازالت في تجديد مستمر"[75].

و لكن لا بأس في سبيل توضيح مقدمات الحجاج و منطلقاته ،أن نبين ما هي أهم المراحل التي يمر بها انتاج الحجاج حتى تتضح صورة ميلاد الخطاب الحجاجي عند المتكلم / المخاطِب حتى يبلغ صورته النهائية على شكل خطاب متكامل العناصر ،و منسحمة فيما بينها ،و قد أشار أرسطو إلى مراحل انتاج القول الحجاجي [76] و التي سنجملها في المخطط التالي:

---

[73] -- http://balagharachid.blogspot.com/2014/04/blog-post_4540.html

[74] - http://balagharachid.blogspot.com/2014/04/blog-post_4540.html

[75] -أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي،مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد يوليو 2001م ،ص 100.

[76] -أرسطو ،الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي،بغداد :دار الشؤون الثقافية،1986م،ص193.

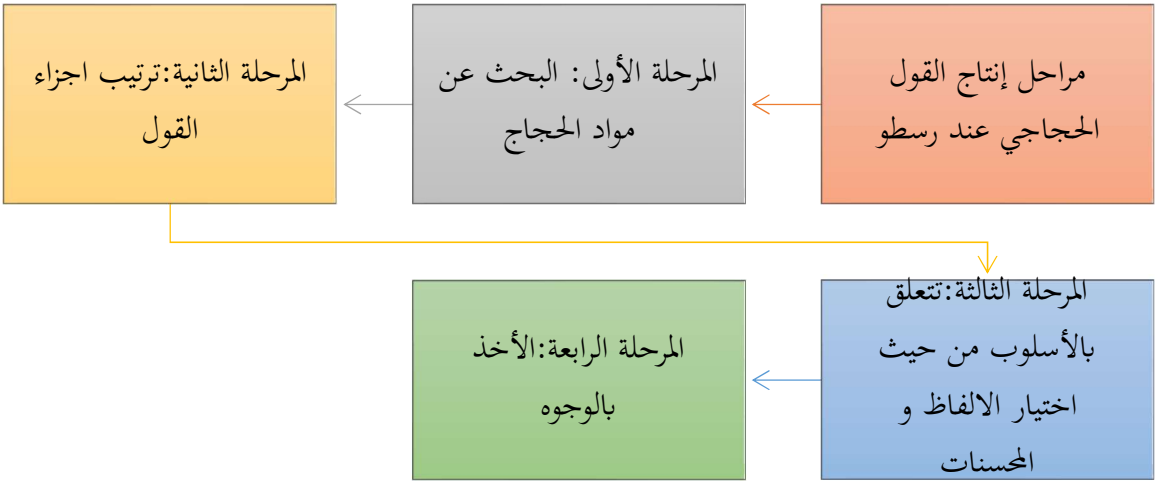

و كأن هذه المراحل تشير من ناحية أخرى إلى أهم الأطر الحجاجية التي تتحكم في بناء الخطاب الحجاجي ،و توجهه توجيها يجعله يؤدي وظيفته الإبلاغية ،و ذلك أن الحجاج لا يزدهر إلا حين تُفْتقد الأدوات اليقينية. هذا ما أشار إليه بارت لتحديد الأسباب التي دفعت إلى انهيار البلاغة[77].

استنتاجا مما سبق ، نفهم دور الخطيب في ضرورة الاهتمام بجمهوره حتى يختار لهم الحجج التي تجعلهم يؤيدون الفكرة أو ينفي عنهم ما كان في ذهنهم من أوهام حول الموضوع المطروح للنقاش الذي بفضله جاء الحجاج ،وعليه فإن "الخطيب الذي لا يلتفت إلى مطالب المستمع هو شخص أناني أو أنه لا يتحدث إلا مع نفسه ويتنصت إلى هلا وسه"[78].

وهذه الخاصية الحجاجية للخطاب جعلت كثيرا من الباحثين، المهتمين بتحليل العلمية التواصلية ، يعرفون البلاغة الجديدة بأنها:" حقل يُعنى بدراسة الخطاب الموجه نحو المخاطَب/المتلقي/الجمهور بمختلف أشكاله المتعددة، سواء كان حشدا متجمِعا في ساحة عامة، أو في اجتماع لمختصين، أو كان خطابا موجها نحو فرد واحد أو نحو البشرية جمعاء؛ انه حقل يفحص حتى الحجج التي نوجهها إلى ذاتنا خلال حوار خاص بيننا وبين أنفسنا"[79].

---

[77] - http://balagharachid.blogspot.com/2014/04/blog-post_4540.html

[78] http://balagharachid.blogspot.com/2014/04/blog-post_4540.html-

[79] -- Chaïm Perelman : Rhétorique et philosophie, avec Lucie Olbrechts-Tyteca, Paris, Presses Universitaires de France, 1952.

البلاغة الجديدة و الحجاج:

ثمة تداخل كبير في التعريفات بينهما عند كثير من الباحثين ،و ذلك لأن المجددين للبلاغة الغربية، أمثال رولان بارت[80] وغيره، أرادوا أن تنتعش البلاغة بما تحويه من خاصية إقناعية التي يتسم بها الخطاب الحجاجي ،فلا يكون النص حجاجيا ، من وجهة نظر البلاغة الجديدة،إلا حين يحمل بذرة خلاف، تتضمن قصدا تأثيريا، مضمرا أو معلنا، بنية تحويل أو تعديل وجهة تفكير المخاطب، أو حمله على مزيد من موافقة داخل مسار تواصلي غير إلزامي"[81].

هذا المنحى الذي بني عليه الحجاج جعله يقتحم جميع العلوم بمختلف مشاربها المعرفية و المنهجية، لهذا فإن "بلاغة الحجاج حاضرة في الأدب و الفن، مثلما هي حاضرة في علم النفس والاجتماع و القانون و التجارة و الاقتصاد و السياسة و الإعلام بكل فروعه...إلخ،لأنها بلاغة تُوَظف في إحكام كل ما تصل إليه يدها الطويلة من علوم ومعارف".

وهذه الخاصية الإقناعية في البلاغة الجديدة جعلت اختيار الحجج يتحدد بعنصرين اثنين هما:

أولا:الانطلاق من المعطيات التي يمتلكها المتلقي حتى يتسنى إقناعه بشكل تراكمي للحجج.

ثانيا: مراعاة المقام، وذلك لأن المحاجة لا تؤتي أكلها إلا إذا اعتمدنا على حجج مضادة لحجج التي يُركز عليها الخصم في بناء خطابه.

و من هنا ،كان موضوع نظرية الحجاج ، كما بين منظروها،"هو دراسة التقنيات الخطابية لإثارة أو زيادة الالتزام من العقول إلى الأطروحات المقدمة إلى اعتمادهم "[82]، و على هذا ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطا لا

---

[80] –لقد كتب سنة 1963 قائلاً: "ينبغي إعادة التفكير في البلاغة الكلاسيكيَّة بمفاهيم بنيويَّة، وسيكون – حينئذٍ – من الممكن وضْعُ بلاغةٍ عامَّة، أو لسانيَّة لدوالِّ التضمين، صالحة للصُّوت المنطوق، والصورة والإيماء.."
http://www.alukah.net/publications_competitions/0/36802/#ixzz52vU1m800

[81] -- Michel Meyer : Qu'est-ce que l'argumentation?, Paris, Librairie Philosophique Vrin, 2005.

[82] - "L'objet de la théorie de l'argumentation est l'étude des techniques discursives permettant de provoquer ou d'accroître l'adhésion des esprits aux thèses qu'on présente à leur assentiment" (Perelman et Olbrechts-Tyteca 1970).

انفصام له ، و ذلك باعتماد تقنيات البلاغة في عملية الإقناع ،التي ذكرناها آنفا، حيث ركّز في ذلك بيرلمان على مبدأين أساسين في العملية التواصلية هما :القصد و المقام .

وهذان المبدءان يمكن الارتكاز عليهما، باعتبارهما معينا على تكوين كوثر منهجي، فيما يخص "تحليل نصوص ذات طبيعة حجاجية قوية كالنصوص القضائية والسياسية والفلسفية، بناء على تصور تفاعلي بين الذات المتكلمة والمخاطبين. وعلى الرغم من مميزات هذا التصور، فإنه يقصر الحجاج على بعض التقنيات والآليات البلاغية والمنطقية، وهو ما يدفعه إلى تقسيم الخطابات إلى خطابات حجاجية ذات طبيعة إقناعية، كالمناظرات والمجادلات الدينية والفلسفية والسياسية والقانونية، وأخرى غير حجاجية. بينما يتبنى التصور التقني للحجاج تقسيما آخر تصير بمقتضاه كل الخطابات المختلفة التي تستعمل لسانا طبيعيا خطابات حجاجية بدرجات مختلفة "[83].

ولا يخفى على أحد، بأن الحجاج حصر في جملة من الأهداف هي:

1. الإقناع أي رصد كل الوسائل المسعفة والمعينة على جعل المتلقي يقبل الرسالة كمرحلة أولى.
2. والتأثير أي جعل المتلقي في المرتبة الثانية ينساق وراء مضامين الرسالة.
3. والتداول أي جعل اللغة وسيلة من وسائل ترابط بين طرفي العملية التواصلية.
4. والتواصل أي أن الحجاج وسيلة أساسية في ربط العلاقة بين المرسِل والمتلقي، علاقتها هدفها الأساسي هو التفاهم والتعاون والاشتراك.
5. والتخاطب أي أن اللغة بهذا تصبح تمارس وظيفتها الأساسية التي من أجلها وجدت عند الإنسان عموما.

إلا إننا وجدنا بأن بيرلمان انتقل من الإقناع الذي ركز عليه أرسطو إلى الاقتناع حيث إن المجتمعات المعاصرة التي تبنت الديمقراطية منهجا في حياتها الشاملة تؤمن بالحرية لهذا وجدناها تميل إلى الاقتناع بدل الإقناع الجبري، فكأنها

[83] -- Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca : Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique, Presses Universitaires de France, Paris, 1958.

تجعل من بناء الخطاب يميل ميلا عظيما نحو مراعاة ظروف و وأحوال المتلقي حتى يقتنع بالرسالة ،و لهذا اهتم بيرلمان بالمتلقي بدل الملقي الذي كان يركز عليه أرسطو و البلاغة الغربية الكلاسيكية .

العوامل والروابط الحجاجية : تعتبر العوامل و الروابط في نظرية الحجاج و البلاغة الجديدة عنصران من عناصر التي تساعد على انسجام الخطاب حتى يصل إلى مبتغاه من توجيه المتلقي إلى النتيجة المرادة أو ما يسمى بالوجهة الحجاجية التي هي "محددة بالبنية اللغوية فإنها تبرز في مكونات متنوعة و مستويات مختلفة من هذه البنية فبعض هذه المكونات يتعلق بمجموع الجملة ،أي عامل حجاجي في عبارة ديكرو ،فيقيدها بعد أن يتم الإسناد فيها و من هذا النوع نجد:النفي و الاستثناء المفرغ و الشرط و الجزاء. و نجد مكونات أخرى ذات خصائص معجمية محددة، تؤثر في التعليق النحوي و تتوزع في مواضع متنوعة من الجملة ،و من هذه الوحدات المعجمية جروف الاستئناف بمختلف معانيها و الأسوار (بعض،كل ،جميع) و ما اتصل بوظائف نحوية مخصوصة ،كحروف التعليل أو تمحض لوظيفة من الوظائف قط و أبدا"[84].

و إذا أردنا أكثر تفصيلا فيما يخص تعريف العوامل و الروابط فإن كل "ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل أدوات الاستثناء (الواو ، الفاء لكن إذن) ويسميه روابط حجاجية ،وأما النوع الثاني فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر،تدخل مثل الحصر و النفي ، أو مكونات معجمية تحيل في الغالب غير مباشرة مثل منذ الظرفية و تقريبا و على القل و يسميه عوامل حجاجية"[85].

وعلى هذا فإن الروابط الحجاجية تختص بالربط بين عناصر الكلام ، وأما العوامل الحجاجية تختص بالجملة كلها .

وهذا يستدعي منا الحديث منهجيا عن نظرية السلالم الحجاجية حتى تكون النظرة كاملة متكاملة في هذا البحث ،وذلك بأنَّ نظرية السلالم الحجاجية تنطلق "من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة(ق) ونتيجة (ن) ومعنى التلازم هنا هو أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلم ،إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها و قد تبقى ضمنية"[86].

الحجج تُبنى وفق سلم ينطلق من الحجة الأضعف إلى الأقوى مثلما يوضحه هذا المخطط:

---

[84] – شكري المبخوت ،الحجاج في اللغة ،ص377.
[85] – شكري المبخوت ،الحجاج في اللغة ،ص376-377.
[86] – شكري المبخوت ،الحجاج في اللغة ،ص363.

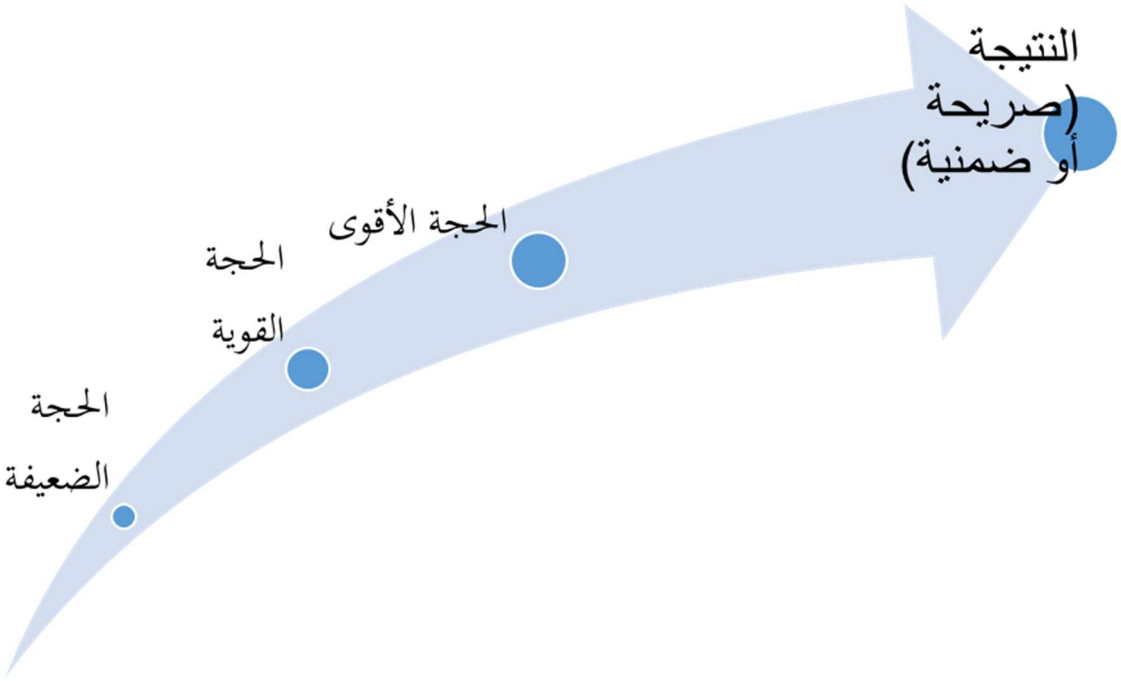

وعلى هذا تُبنى السلالم الحجاجية في الخطاب من مجموعة من الأقسام الحجاجية علما بأن كل قسم حجاجي يتكون من : ق+ق' ← ن.

يقول ديكرو في ذلك :"تكون جملة (ق') أقوى من (ق) إذا كان كل قسم حجاجي يتضمن (ق) متضمنا أيضا (ق')" [87]، وإذا لم يتوفر هذا الشرط هناك شرط أخر" يكفي أن (ق') يؤدي إلى نتيجة (ن') أقوى من(ن)"[88].

و بما أن المجال ههنا لا يسمح بالتوسع أكثر في نظرية السلالم إلا إننا سنتحدث عن الموضع باعتباره شرطا أساسيا من شروط الحجاج إذ إنه "يمثل "مبدأ حجاجيا عاما من المبادئ التي يستعملها المتخاطبون ضمنيا للحمل على قبول النتيجة ما ، فالموضع فكرة مشتركة مقبولة لدى جمهور واسع ،و عليها يرتكز الاستدلال في اللغة"[89].

وفي تحديد ديكرو لمفهوم المواضع يمكن أن نستنتج ما يلي :

1. أن العلاقة الحجاجية تتطلب وجود موضع بين الحجة و النتيجة.
2. أن للمواضع اشكالا تتحدد ب"أكثر" و "أقل" ضمن منطقة قوة محددة.

---

[87] - Oswald Ducrot,1980,Les échelles argumentatives, Les éditions de minuit, PARIS ,P 20 .

[88] - Oswald Ducrot, 1980, Les échelles argumentatives, Les éditions de minuit, PARIS, P 26.

[89] - شكري المبخوت ،الحجاج في اللغة ،ص380.

3. أن أضكال المواضع من خلال التأليف بين أكثر و(و رمزه+) زأقل (ورمز−) ألربعة هي : (+،+) (−،−)و (+،−)و(−،+)[90].

الخيال و الحجاج:

بعد الحديث عن كل ما يتعلق بالحجاج وشروط نجاحه ، ولو بصورة مقتضبة حسب أملته علينا طبيعة البحث، إلا إن ثمة سؤال يفرض نفسه ههنا مفاده هل هناك من علاقة بين الحجاج و الخيال ؟ أو بصورة أوضح إذا كان الحجاج يستند على المعطيات و الحجج اليقينية لإزاحة الخلاف أو اللبس الموجود بين المرسل و المرسل إليه فهل معنى ذلك أن نغفل الخيال في عملية المحاجة ؟

و نحن نعلم ،إجابة عن السؤال السابق ،بأن الخيال لا ينفك عن طبيعة الإنسان الفكرية حيث إنه" لا تفكر النفس بدون صور" [91] ،و قد وجدنا ابن سينا يظهر هذه القضية بجلاء في كتابه التعليقات حيث ذكر بأن "كل ما تعقله النفس مشوب بتخيل"[92] ،و هذا يجعل الحجاج يقبل التخييل حتى يتلائم مع طبيعة الإنسان التي هي مزيج مما هو منطقي و ما هو خيالي تصويري ،و ما الصور الشعرية التي نجدها في النصوص التي انتجها الإنسان عبر العصور و سيظل ينتجها ؛ بل إن النصوص السردية التي غزت الساحة الأدبية انتاجا كما ونوعا في زماننا هذا لخير دليل على العلاقة المتينة بين الحجاج و التخييل .

و لذلك كان الشعراء في الجاهلية،مثلا، ينظمون القصائد ،و يعلمون بأن لها تأثيراً كبيراً في حياة المتلقين "و من غير أن يكون الغرض بالمقول إيقاع اعتقاد البتة" [93] بينما الخطيب لا يلقي خطبته على المخاطبين إلا إذا كان الخطب الجلل يستدعي شحذ الهمم ،و كسب التأييد لهذا يعمل على إقناعهم بما هو « تصديق بالشيء مع اعتقاد أنه يمكن أن يكون له عناد وخلاف. "[94]

---

[90] – شكري المبخوت ،الحجاج في اللغة ،ص380.

[91] – أرسطو : في النفس، تر: إسحق بن حنين، مرا: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية،ط1، 1954،ص75.

[92] – ابن سينا: التعليقات، تح: د. عبد الرحمن بدوي،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973،ص 109.

[93] – ابن سينا :المجموع أو الحكمة العروضية في معاني كتاب الشعر، تح: د. محمد سليم سالم، دار الكتب، الجمهورية العربية المتحدة، 1969، ص 15.

[94] – ابن سينا: المجموع أو الحكمة العروضية في معاني كتاب ريطوريقا، تح: د.محمد سليم سالم،مكتبة النهضة المصرية،ط1، 1950، ص 15.

وعلى ما سبق، يمكن أن نثبت قاعدة مهمة في مجال العلاقة بين الحجاج والتخييل هي أن« العمل المترتب على الحجاج ليس متوسلا إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء والمناورة، وإنما هو عمل هيأ له العقل والتدبر والنظر."[95]

وقوة التخييل الحجاجية تطرق إليها عبد القاهر الجرجاني في كتابيه مبينا أهم خصائصها الفنية والإبداعية ، بل ذكر قوتها الإيحائية في بنائها الجمالي المحكم في شبكة من الصور الخيالية المنسجمة فيما بينها انسجاما جعلها تبدو كلوحة فنية رسمها رسام حاذق ، ومما التفت إليه عبد القاهر وحلله قصيدة ابن الرومي التي يقول فيها :

خجلت خدود الورد من تفضيله خجلا توردها عليه شاهد

لم يخجل الورد المورّد لونه إلا وناحِلُه الفضيلةَ عاندُ

فصْلُ القضية أن هذا قائد زهرَ الرياض وأن هذا طاردُ

شتَّان بين اثنين هذا مُوعدٌ بتسلب الدنيا وهذا واعدُ

وإذا احْتَفَظْتَ به فأمتَعُ صاحبٍ بحياته لو أن حيَّاً خالدُ

للنرجس الفضلُ المبينُ وإن أبى آبٍ وحاد عن الطريقة حائدُ

من فضله عند الحِجَاج بأنه زهر ونَوْر وهو نبت واحدُ

يحكي مصابيحَ السماء وتارةً يحكي مصابيح الوجوه تَراصَدُ.[96]

ومما قاله عبد القاهر عن هذه القصيدة هو أن "ترتيب الصنعة في هذه القطعة، أنه عمل أولا على قلب طرفي التشبيه(...) فشبه حمرة الورد بحمرة الخجل، ثم تناسى ذلك وخدع عنه نفسه، وحملها على أن تعتقد أنه خجل على الحقيقة، ثم لما اطمأن ذلك في قلبه واستحكمت صورته، طلب لذلك الخجل علة، فجعل علته أن فضل على النرجس، ووضع في منزلة ليس يرى نفسه أهلا لها، فصار يتشور من ذلك، ويتخوف عيب العائب، وغميزة المستهزئ. ويجد ما يجد من مدح مدحة يظهر الكذب فيها ويفرط، حتى تصير كالهزء بمن قصد بها. ثم

[95] - R.AMOSSY :L'argumentation dans le discours, éd NATHAN, Paris, 2000 , P62.

[96] – ابن الرومي: الديوان، تح: د. حسين نصار، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د.ت،.2/643

زادته الفطنة الثاقبة والطبع المثمر في سحر البيان، ما رأيت من وضع حجاج في شأن النرجس، وجهة استحقاقه الفضل على الورد، فجاء بحسن وإحسان لا تكاد تجد مثله إلا له»"[97].

و نلاحظ من خلال تحليل عبد القاهر لهذه القصيدة، وقد حلل شواهد كثيرة [98]، أنه تتبع الخاصية الحجاجية للصور التخييلية التي زخرت بها القصيدة ،و بين أنها تبنى على "الخطوات الثلاث التي تميز السلم الحجاجي، والتي تصوغ مقولاته في علاقة تراتبية"[99].

و يمكن أن نوضح هذه التراتبية الحجاجية لأسلوب التخييل في المخطط البياني التالي[100] :

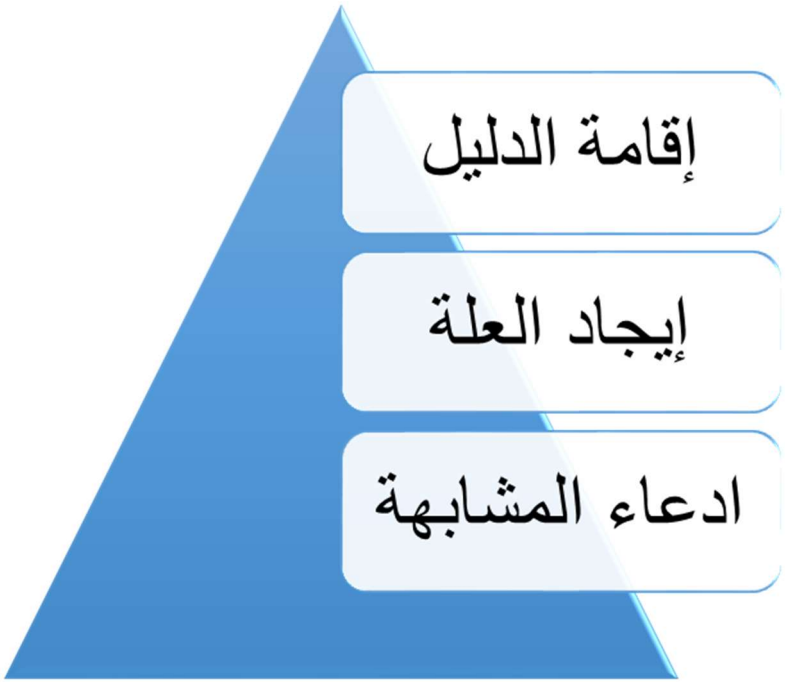

و قد بيّن ذلك من خلال تعليقه على بعض الأبيات الشعرية حيث يقول[101]: «كل واحد من هؤلاء قد خدع نفسه عن التشبيه وغالطها، وأوهم أن الذي جرى العرف بأن يؤخذ منه الشبه قد حضر ،وحصل بحضرتهم

[97] – عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ، ص 285.
[98] – ينظر تلك الشواهد بالمصدر نفسه، ص 286-295.
[99] – أبو بكر العزاوي ،"نحو مقاربة، حجاجية الاستعارة"، ص 79 .ضمن مجلة المناظرة، الرباط، س 2، ع 4، 1991.
[100] – المرجع نفسه،ص ن.
[101] – أنظر تلك الأبيات لدى عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 289-290.

على الحقيقة، ولم يقتصر على دعوى حصوله حتى نصب له علة، و اقام عليها شاهدا(...)»[102].

استنباطا مما سبق، يمكن القول بأن الخطاب الأدبي ، سواء جاء في صورة خطاب شعري كما رأينا أو غيره،لا يستطيع أن يبنى بعيدا عن الحجاج الذي يرتكز على التخييل لأنه خاصية من خصائص التفكير البشري بكل مستوياته لأنها:" لا تتخلص أبدا من الهالة التخييلية بالكامل. كما أن كل عقلانية وكل نظام منطقي يحملان في ذاتهما أوهامهما الخاصة"[103].

و خلاصة الأمر فإن عملية التفاعل الإيجابي مع الخطابات ،ذات الخصوصية المشار إليه سابقا، فإنها تستغرق و تتطلب أربع مراحل متتالية هي:[104]

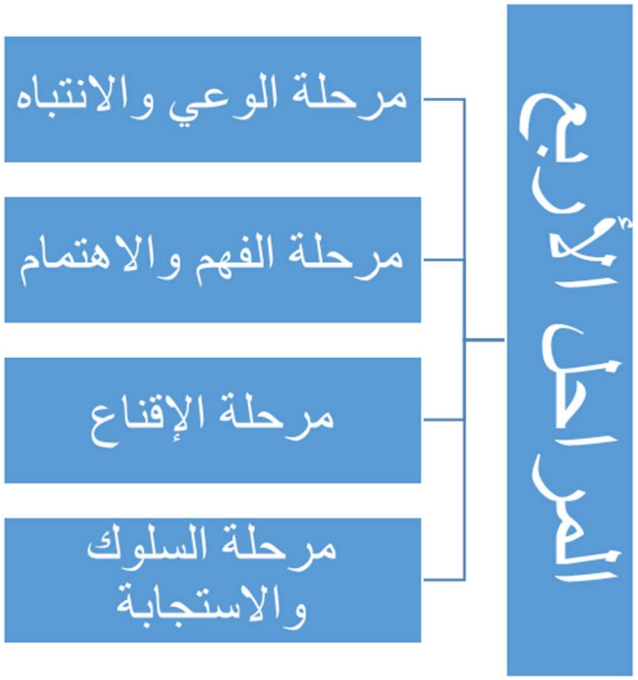

و هذه المراحل الأربع، كما بينها المخطط، تستهدف كل مرحلة منها إحداث تغير جزئي تدريجي فكل مرحلة توصلك إلى المرحلة التي بعدها حتى تبلغ غايتها،إذ إن المرحلة الأولى تركز أن يعي الجمهور المستهدف نوعية

---

[102] – المصدر نفسه، ص 290.

[103] - G.DURAND : Les structures Anthropologique de l'IMAGINAIRE, éd DUNOD, Paris, 11éme éd,1992, p 64-65.

[104] علي عجوة، (وأخرون): مقدمة ورسائل الاتصال،(القاهرة: مكتبة مصباح، ط2، 1991)،ص.ص.96.95.

الخدمة وما يمكن أن نقدمه له، وأما المرحلة الثانية أن يفهم الجمهور المستهدف نوعية الخدمة.و أما المرحلة الثالثة أن يقنع الجمهور المستهدف بهذه الخدمة.و أما المرحلة الرابعة والأخيرة أن يتجه الجمهور المستهدف إلى التحرك نحو الخدمة.

و في ختام هذا المبحث فإن دراسات الحجاج في الخطاب تحصر في أمرين أثنين هما:

1. القدرة البلاغية للحجاج في رسم وجهة نظر محددة و كذا في البنية المنطقية للخطاب الحجاجي التي تجعل المتلقي يصل إلى مرحلة الإقتناع بما يطرحه المرسل عليه من أفكار ووجهات نظر حتى تجعله يؤيده.
2. إن الحجاج يبني وفق منهجية منطقية مما يتطلب حدوث ثلاث عمليات هي:القبول و الحكم و المنطق.

حجاج البلاغة

الحديث عن البلاغة و حجاجيتها خاصة بعد انتقالها من لغة موضوع إلى لغة واصفة، يجعلنا ننظر إليها أنها أضحت"تلتقي مع مجموعة من المصطلحات الحديثة كتحليل الخطاب و الأسلوبية و القراءة"[105] وغيرها،و هذا يجعلنا ننظر إلى البلاغة أنها "ليست محصورة في البعد الجمالي بشكل صارم ،بل تنزع إلى أن تصبح علما واسعا للمجتمع"[106].

و من هنا تعددت وظائفها و مساهماتها[107]؛بل هي "الأفق المنشود و الملتقى الضروري للتداولية و علم النص و السيميولوجيا ، و هي النموذج المؤمّل عليه للعمل الإنساني في إطاره الشامل الجديد"[108].

و على هذا فإن البلاغة بما تمتلكه من قوة إقناعية تأثيرية ،كما سنفصل في ذلك ،جعل كثيرا من الباحثين المحدثين يرون بأنه يجب أن نعطي للبلاغة المكانة التي هي أهل لها بل عليها أن تحتل المقام الأول "لتأخذ مكانها بين العلوم القديمة ،و ربما كانت هي التي تستحق أن تسترد وصف العلمية"[109] .

---

[105] –رولان بارت قراءة جديدة البلاغة القديمة ترجمة عمر أوكان المغرب إفريقيا الشرق ط1 1994،ص7-8.

[106] –هنريش بليت، البلاغة و الأسلوبية،ترجمة و تقديم محمد العمري ، المغرب ،إفريقيا الشرق ،1999م،ص92.

[107] – صلاح فضل ،بلاغة الخطاب و علم النص، سلسلة عالم المعرفة،الكويت ، العدد 164،سنة 1992،ص250.

[108] – صلاح فضل ،بلاغة الخطاب و علم النص،ص251.

[109] –صلاح فضل ،بلاغة الخطاب و علم النص، ص179.

لهذا كثيرا ما نخطئ عندما نحصر البلاغة في "دراسة لجماليات اللغة فحسب،لأنها،فضلا عن هذا،هي فلسفة تفكير و ثقافة للمجتمع و أسلوبية للحوار ،و هذا سر اكتسابها تلك الطبيعة المزدوجة التي تجمع الآليتين الحجاجية و التفكيرية التأويلية على مستوى الملفوظ و المكتوب،إذ لم تعد تحليل النصوص فحسب،بل انتاجها أيضا"[110].

كل ذلك و غيره ،يجعل الحديث عن البلاغة و وظائفها المتعددة التي سيظل الإنسان يكتشفها مرة بعد أخرى حديثا تفرضه العودة الجديدة للبلاغة في ظل ما تشهده المجتمعات من حراك فكري ،و إيديولوجي ،طلبا للحرية في إبداء الرأي و الرأي المضاد ،علما بأنه "على الرغم من التنوع في الوظائف و المشاغل البلاغية ،إلا إن المظهر الحجاجي(l'aspect argumentetif) يظل من ابرز خصائص الفكر البلاغي عبر مراحله القديمة و الوسيطة و الحديثة، وبالأخص المعاصرة"[111].

و كأن هذه المجتمعات ،بما استحدثت من آليات في التواصل ،و تقنيات متعددة متنوعة تيسر العملية التواصلية إن على مستوى المجتمع الواحد ،و بين مجتمعات متعددة متباعدة، "فتحت الأبواب أمام عودة الخطابة و رجوع وظيفة الإقناع و التأثير في صيغة لم تعرفها من قبل ،و أصبح الخطاب يعتمد في إنجاز تلك الوظيفة ،و إحداث التأثير ،و أساليب متنوعة ، منها ما يقوم على بلاغة الصورة ، ومنها ما يقوم على قدرة الخطاب الفائقة على التأثير ،لا بمنطوقه ،إنما بمفهومه و مُتضمنه،كما قوَّت المناقشة القائمة بين المستفيدين من استهلاك الآليات المرصودة لذلك،و أصبحت البلاغة قادرة ،لا فقط على التأثير و تحويل القول و الصورة فعلا و ممارسة،و إنما أصبحت متحكمة في أذواق الناس ،تساعد على صياغتها و إعطائها الوجهة التي تهيئها لقبول ما يُقترح عليها"[112].

هذه التهيئة لقبول ما يقترح على المتلقي إنما يُسِّرت بهذه القوة التأثيرية التي تحملها الوظيفة الحجاجية للبلاغة، التي جعلت "تمرير الأفكار و التصورات و الأخيلة التي نريد تمريرها على حساب ما هو قائم في ذهن المتلقي،و الغاية هي إبعاده عما كان يعمر ذهنه و إحلال ما نريد نحن مكانه،بتحريك الإعجاب، بما نعرض عليه،أو نخلق الصدمة أو الفتنة أو الإقناع"[113].

---

[110] –د.محمد سالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة،بحث في بلاغة النقد المعاصر،دار الكتاب الجديد المتحدة،ط1، 2008م،ص09.

[111] – د.محمد سالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص11.

[112] –حمادي صمود،تجليات الخطاب البلاغي ،تونس:دار قرطاج للنشؤ،ط1، 1999م،ض133-135.

[113] – حمادي صمود،تجليات الخطاب البلاغي،ص 134.

إذن نحن نتكلم ،باستغلال تقنيات الحجاج الكامنة في البلاغة، بقصد "دفع المخاطب إلى القيام بمناورات أو تمثلات مختلفة متعلقة بموضوع معين لكسب أو مضاعفة تعاطف المستمع بشأن الأطروحات المقترحة للحصول على موافقته"[114] .

و على هذا،كما أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني، كأن فنون البلاغة تستدعيها الملابسات المحيطة بالخطاب وشروط نجاحه ، فإنك على الجملة "لا تجد تجنيسا مقبولا ، ولا سجعا حسنا ،حتى يكون المعنى هو الذي طلبه و استدعاه و ساق نحوه و حتى تجده لا تبتغي به بدلا،و لا تجد عنه حولا، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه و أعلاه،و أحقه بالحسن و أولاه: ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه،أو ما هو لحسن ملاءمته ،و إن كان مطلوبا،بهذه المنزلة و في هذه الصورة "[115].

و كأن عبد القاهر الجرجاني يبيّن بأن للبلاغة وظائفاً متعددةً لا نستطيع أن نحصرها فقط في الجانب الجمالي التزييني ،و إنما جعلها تتسع لتشمل الجانب الحجاجي و غيره حتى يقول :"إن كان مدحًا كان أبهى وأفخم ، وأنبل في النفوس وأعظم ، وأهزّ للعطف ،وأسرع للإلف ، وأجلب للفرح ، وأغلب على الممتدح ، وأوجب شفاعة للمادح ،وأقضى له بغُرّ المواهب والمنائح ، وأَسْيَر على الألسن وأذكر ، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر"[116].
و إن كان الأسلوب أو الفن البلاغي " ذمًّا كان مسُّهُ أوجع ، وميسه ألذع ، ووقعه أشد ، وحدُّه أحدّ ،وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر وإن كان افتخارًا كان شأوه أبعد ، وشرفه أجد ، ولسانه ألدّ وإن كان اعتذارًا كان إلى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسخائم أسلّ ،ولغرب الغضب أفل ، وفي عقدالعقود أنفث ، وعلى حسن الرجوع أبعث" [117].
وإن كان هذا الأسلوب البلاغي "وعظًا كان أشفى للصدر ، وأدعى إلى الفكر ، وأبلغ في التنبيه والزجر ، وأجدر بأن يجلّي الغياية ، ويبصّر الغاية ، ويبرئ العليل ، ويشفي الغليل "[118].

---

[114] -Chaïm Perelman : Droit, morale et philosophie, Paris, Librairie Générale de Droit et de Jurisprudence, 1968.

[115] –عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة في علم البيان،تحقيق السيد محمد رشيد رضا،دار المعلرفة،بيروت–لبنان،ط1، 2002م، ص 18.

[116] –عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة في علم البيان،ص 97.

[117] ––عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة في علم البيان،98.

[118] ––عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة في علم البيان،99.

ومن هنا نفهم مما ذكره عبد القاهر ،بأن القوة الحجاجية للبيان تجعله "وسيلة أساسية من وسائل الإقناع، ولعل في اختلاف مستويات التلقي ما يؤكد هذه الصفة الحجاجية للخطاب البلاغي، وذلك يجعل أي قول مدعم صالحا أو مقبولا بمختلف الوسائل، ومن خلال مختلف الصيغ اللغوية، على اعتبار أن هذه الصيغ هي أفعال كلام تمارس وظيفة التأثير من خلال قوتها الكلامية التي تتجلى بدورها من خلال طرائق منطقية في البناء وترابط العلاقات الاستدلالية التي يمثل الحجاج أبرز مظاهرها"[119].

النتيجة:

إن النتيجية التي نخلص إليها في هذا البحث ، أن الحجاج ما هو إلا وظيفة من وظائف البلاغة ، وعليه فليس "الحجاج علما/فنا يوازي البلاغة:بل هو ترسانة من الأساليب والأصوات يتم افتراضها من البلاغة(ومن غيرها،كالمنطق واللغة العادية...) ولذلك فمن اليسير اندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب"[120].

و في هذا الإطار وجدنا البلاغة الجديدة في علاقتها بالحجاج «تهدف إلى التقنيات الخطابية ،وتسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج ،كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ،ثم يتطور كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور"[121].

وخلاصة الخلاصة ،من خلال الآليات المبتكرة في زماننا هذا في تقنيات التواصل ،و هي في حركة مستمرة نحو التجديد و التطور ؛بل إننا نَتَعرَّض لهجمات (استفزازات) مستمرة و متكررة للتواصل بطرق متعددة، و متنافسة من أجل ربط عدد كبير من المتلقين بالعملية التواصلية لأهداف مختلفة و متنوعة ،كعرض بضاعة أو فكرة ...، و على هذا نستطيع أن نجزم أنه "لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل".[122]

---

[119] –إشكالات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير،:مقاربة تداولية معرفية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، المغرب، 2000، ص69.

[120] –صابر الحباشة،التداولية والحجاج،مداخل ونصوص ،صفحات للدراسات والنشر ،الطبعة الأولى، 2008 ،ص50.

[121] –صابر الحباشة،التداولية والحجاج،مداخل ونصوص ،صفحات للدراسات والنشر ،الطبعة الأولى، 2008 ،ص 17

[122] –الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عبد النبي ذاكر، مجلة عالم الفكر، المجلد 40، العدد 02، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2011، ص: 07، وينظر كذلك: حوار حول الحجاج، أبو بكر العزاوي، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010، ص: 108